

الاقتداء بالسلف وآراء الأئمة في ذلك

للإستاذ
علي أبو العكثيث

تناول هذا الموضوع — بعون الله وتوفيقه — من ثلاثة جوانب : الجانب الأول يتضمن مقدمة تاريخية، والجانب الثاني يتعلق بتحديد المصطلحات، أما الجانب الثالث فيتضمن الاقتداء بالسلف وآراء الأئمة في ذلك.

أولاً : المقدمة :

لم يكد يحل القرن الثامن عشر الميلادي حتى وصل المجتمع الاسلامي إلى درجة كبرى من الانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري والحضاري، حيث ساد الجهل بين عموم المسلمين وانتشرت فيهم البدع والضلالات وأصبح الدين مجرد طقوس وشعائر تعبدية تمارس من غير كبير فهم، لا دخل له في الحياة العامة للناس، بحيث فقد وظيفته الأساسية في الحياة الاجتماعية العامة، وأصبح المسلمون في عمومهم لا يباليون به كدين يدعو إلى الجهاد، جهاد النفس وجهاد العدو، مما أضعفهم وأفقدتهم العزة التي وعد الله بها المومنين الصادقين، فطمعت فيهم الأمم الأوربية وبسطت نفوذها عليهم في آسيا واتخذت لها نقطة ارتكاز رئيسية في افريقيا ومدت نفوذها إلى قلب العالم الاسلامي ومركزه الرسمي في الشرق الأدنى وبذلك طوقت العالم الاسلامي من الشرق والغرب، وبدأت بلدانه تقع واحدة بعد الأخرى تحت السيطرة الاستعمارية، إذ لم يكد ينتهي القرن التاسع عشر حتى كانت أغلب بلدان العالم الاسلامي واقعة في فخ الاستعمار. باستثناء الخلافة العثمانية ودولة العلويين في المغرب وبعض الجهات الأخرى في فارس، هذه الدول التي تعرضت هي الأخرى لمناوشات ومساومات

استعمارية إلى أن وقعت بحلول القرن العشرين تحت سيطرة الاستعمار الغربي الذي كان يعزو تخلف المسلمين إلى الاسلام نفسه لا إلى المسلمين كما هو الحال، لذلك كانت سياسته في الدول الاسلامية — بعد استعمارها — تقوم على مبدأ التشكيك في قواعد الاسلام ومناهجه، ومحاربة اللغة العربية التي هي لغة القرآن وإحلال اللغة الأجنبية محلها. ولما آلت الحال إلى هذا المآل وتازمت أوضاع المسلمين عموماً، انعكس أثر ذلك على الحياة الفكرية، فعم التقليد والجمود، وقل الابتكار وكادت صلة المسلمين تنقطع بالعلوم الاسلامية وبمصادر التشريع الاسلامي، فتوقف التفكير العلمي الخلاق الذي نبغ فيه المسلمون خلال عصور ازدهارهم فاصطبغ فهمهم للدين عموماً ببصغة الجهل والتخريف (1) مما جعله يفقد روحه ويصبح في الأوساط الاجتماعية العامة مجرد شعائر ظاهرية لا تمس القلب ولا تحيي الروح، وكانت هذه هي الثغرة التي نفذ منها العدو أثناء وضع البرامج والمناهج والمخططات خاصة منها التربوية والعلمية فتأثر المسلمون بالغرب المسيحي تأثراً كبيراً ظهر في مجال المعرفة والثقافة والفكر والسلوك بصفة عامة، فاستعان المسلمون بالغرب ليتحركوا وينهضوا، فكان التحرك بالفعل وتمت النهضة ولكنها اقترنت بآفات اجتماعية كبيرة لم تكن معروفة (2).

وهكذا تعاقبت على المسلمين بعد لقاءهم بالغرب خلال قرنين من الزمن ألوان من المذاهب والفلسفات أخذوا منها ما استطاعوا أخذه، فكان من الطبيعي أن يتكون منها وعلى غرارها كثير من الهيئات السياسية والتيارات الفكرية بما فيها التيارات المعادية للإسلام. فأصبحت الخلافات السياسية والاجتهادات الشخصية أساساً لعصبيات مذهبية واتجاهات فكرية تحت غطاء التجديد تارة والأصالة تارة أخرى، فاحتد الصراع بين المسلمين وتفرقوا شيعاً، فحجبهم هذا الصراع عن الحق والنظر العميق إلى جوهر الأشياء والقضايا في إطار الكتاب والسنة وما أجمع عليه أئمة الاسلام الأعلام وطبقاً لما يفرضه الاجتهاد في ضوء مستجدات العصر مع الالتزام بمناهج الاسلام عموماً وضوابطه خصوصاً.

ولما تخلى المسلمون عن دورهم في القيادة والتوجيه بحكم الأمانة الربانية التي أنيطت بهم أخذت أوروبا مكانهم وتولت قيادة العالم وتسيير سفينة الحياة فأصبح العالم كما قال أبو الحسن الندوي «كله قطاراً سريعاً، تسير به قاطرة الجاهلية والمادية إلى غايتها

(1) — عباس محمود العقاد : الاسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله ص 51.

(2) — محمد المبارك : الفكر الإسلامي الحديث ص 8.

وأصبح المسلمون — كغيرهم — ركابا. وكلما تقدمت أوربا في القوة والسرعة وازدادت وسائلها، ازداد هذا القطار البشري سرعة إلى الغاية الجاهلية حيث النار والدمار والاضطراب والتناحر والفوضى الاجتماعية والانحطاط الخلقي والقلق الاقتصادي والافلاس الروحي»⁽³⁾.

فأصبح المسلمون من جراء ذلك تابعين لا متبوعين، فانقطعت الصلة بينهم وبين من مضى من سلفهم حتى لو عرض على الجمهور الأعظم منهم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لأنكروه واستغربوه وعدوه بدعة في الدين، لذلك صح فيهم ما قاله «عمر الخيام» في بعض أشعاره الفارسية مخاطبا النبي عليه السلام «إن الذين جاءوا بعدك زينوا لك دينك ووشوه وزركشوه حتى لو رأيته أنت لأنكرته»⁽⁴⁾.

من أجل ذلك قامت الحركة السلفية بدعوة تصحيحية اصلاحية دعت المسلمين فيها قاطبة إلى جوهر الاسلام وحقيقته والعمل بمناهجه في مجالات العبادة والمعاملة طبقا لما ينص عليه الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح والبعث عن التقليد الأعمى الذي انتشر بين المسلمين وأوقف حركتي الابتكار والاجتهاد عندهم، فيستطيعوا بذلك أن يستردوا مكانتهم الحضارية ويحققوا استخلافهم على الأرض التي وعدهم الله به «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا»⁽⁵⁾. وهذا الاستخلاف لا يتم بمفهومه الاسلامي إلا بشرط الاستقامة والثبات على المبدأ أي الايمان بالله والوقوف عند حدوده وشريعته التي بنيت أحكامها على مصالح العباد في المعاش والمعاد⁽⁶⁾. وهذا ما حاولت السلفية نشره بين المسلمين وجاهدت من أجله قديما وحديثا لذلك قال أحد الكتاب المعاصرين «السلفية ثبات على المبدأ وكل ما بعدها طيش»⁽⁷⁾.

الجانب الثاني : تحديد المصطلحات :

هذا الجانب لابد فيه من التمييز بين مصطلحي السلفية والسلف إذ السلف غير السلفية بالمفهوم المتجدد لهذا المصطلح الأخير «السلفية».

(3) — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص 258.

(4) — محمد عبده : الاسلام والنصرانية ص 198.

(5) — النور : 55.

(6) — ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين ج 3/ص3.

(7) — المسلمون عدد 44 السنة الثالثة 25 ربيع الأول 1406 هـ.

فالدين الاسلامي في حقيقته وجوهره حركة اصلاح ديني مستمرة يتجه اتجاهها سلفيا إلى بساطة الدين الأول، دين ابراهيم عليه السلام، وهذه الحركة الاصلاحية لا تنقطع أبدا على امتداد الأعوام والسنين والحقب، لأنها تدرج تحت قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كان السلف رضي الله عنهم يعتمدون عليها في توجيه المسلمين وارشادهم إلى طرق الهداية والرشاد، فما هو مفهوم السلف ؟ وما هو الفرق بين هذا المصطلح ومصطلح السلفية ؟

أ - السلف كما قال ابن فارس (ت 395 هـ) «أصل يدل على تَقَدُّم وسبق. من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلف المتقدمون» (8) وسار الراغب الأصبهاني في نفس الاتجاه فاعتبر أن السلف هم المتقدمون «فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين» أي معتبرا متقدما ولفلان سلف كريم أي آباء متقدمون جمع أسلاف وسلوف» (9).

أما ابن الأثير فيرى أن «سلف الانسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح» (10) وتعدى ابن منظور هذا المفهوم حين قال : «سلف يسلف سلفا وسلوفا : تقدم والسلف والسليف والسلفة الجماعة المتقدمون. والجمع أسلاف وسلاف، والسلف أيضا : كل عمل قدمه العبد، وللسلف الانسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته». (11)

وذكر الزبيدي أن للسلف معنيين آخرين أحدهما : كل عمل صالح قدمته أو فرط لك فهو سلف، وقد سلف له عمل صالح، والثاني كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن (12) وذهب التهانوي في كشفه إلى أن السلف في الشرع اسم لكل من يقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره، أما أبو البقاء في كلياته فقال : «السلف محركة القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض وعلى المقرض رده كما أخذه وكل عمل صالح قدمته أو فرط لك وكل من تقدمك من آبائك وقرابتك فهو سلف، والسلف من أبي حنيفة إلى محمد ابن الحسن إلى شمس الأئمة الحلواني، والمتأخرون من شمس الأئمة الحلواني إلى حافظ الملة والدين البخاري، وقال بعضهم :

(8) — معجم مقاييس اللغة ج 95/3 مادة سلف.

(9) — معجم مفردات ألفاظ القرآن ص 244.

(10) — النهاية في غريب الحديث والأثر ج 189/2.

(11) — لسان العرب مادة سلف.

(12) — تاج العروس ج 143/6 مادة سلف.

السلف كل من يقلد ويقتفى أثره في الدين كأبي حنيفة وأصحابه فإنهم سلفنا والصحابة فإنهم سلفهم» (13).

ويرى البيهقي «ت 458 هـ» أن زمن السلف ينتهي بنهاية القرن الثالث الهجري وأن الرسول ﷺ شهد لأهل القرون الثلاثة الأولى بالخير والفضل «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (14) فالسلف بناء على ما تقدم هم أهل القرون الثلاثة الأولى من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين (15) كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه» وكذلك حديث الأفضلية السابق. هذا ما يتعلق بتحديد مصطلح «السلف»

ب — أما السلفية فهي نسبة إلى السلف ظهرت في القرن الرابع الهجري على يد جماعة من الحنابلة أطلقوا على أنفسهم اسم «السلفيين» أي الذين يرجعون في الأحكام إلى الكتاب والسنة خاصة في مجال أحكام العقيدة، فالسلفية إذن اتجاه فكري يحافظ على نقاء العقيدة وصفاتها، يمثل الايمان الخالص بما ورد عن الكتاب والسنة عاش على مر الدهور يرى العقيدة على بساطتها يتلمسها من مظانها بين خضم هائل من التعقيد والتفريع والتأثير، تحول مع مرور الزمن إلى حركة إصلاحية لها غايات وأهداف ومواقف إيجابية إزاء بعض الظواهر الاجتماعية السلبية التي تعاقبت في حياة الأمة الإسلامية (16) ومضت السلفية كحركة إصلاحية مستمرة في مهمتها تدعو الناس للرجوع إلى أصل الدين ومصدره النقي كلما ابتعد المسلمون أو انخرفوا عن الصراط المستقيم لتزيح عنه كما يقول الأستاذ علال الفاسي رحمه الله «كل ما ألصقته الأجيال به من آثار الجمود والجحود وما غطت به حقائقه الناصعة تأويلات المبطلين وتحريفات الجاهلين، وقد أوى الله إلا أن يجعل أمثال هذه الحركة من طبيعة الاسلام نفسه، إذ هو حركة دائبة لا تعرف الوقوف وانبعاث مستمر لا يستسلم لخمود» (17) ويستعمل الشيخ محمد عبده مصطلح «السلفية» ليدل به على التراث الرئيسي

(13) — كليات أبي البقاء ص 208.

(14) — أخرجه البخاري في صحيحه في باب فضائل أصحاب النبي ﷺ والبيهقي في الاعتقاد ص 15.

(15) — ابن خليفة علوي : هذه عقيدة السلف والخلف ص 110

(16) — حسين بن غنام : تاريخ نجد ص 11.

(17) — حديث المغرب في المشرق ص 3

للاسلام السني في عهود ازدهاره، أي فكر المسلمين واجتهاداتهم⁽¹⁸⁾ لا كما يستعمله «الماديون» و «العلمانيون» الذين يعتبرون السلفية إيقافاً للزمن وتمسكاً مطلقاً بالماضي ولا يفرقون في هذا بين الوحي الالهي والتراث في عهود ازدهاره أي فكر المسلمين واجتهاداتهم⁽¹⁹⁾.

أما المرحوم صبحي الصالح فيربط بين مصطلحي «السلفية» و «السنية» ويذهب إلى أن السلفية نسبة إلى السلف وأن السلفيين باتت حياتهم وقفاً على إحياء السنة وإماتة البدعة خصوصاً بعد فترة طويلة على نزول الوحي ووفاة الرسول ﷺ وهو ما تتضمنه الفقرة التالية: «أضحى التشبه بالسلف الصالح ضرباً من التأسي بالسنة النبوية وصار المتشبهون بالسلف ينسبون إليه فيسمون «السلفية» وباتت حياتهم وقفاً على إحياء السنة وإماتة البدعة وكان المتدينون الصادقون ينظرون إليهم نظرة إجلال وإكبار في مختلف العصور، غير أنهم لم يسلموا من أذى المبتدعة وأهل الأهواء ولا من غلاة المتصوفة ولا من الأدباء المتطرفين. ومضى السلفيون لا يبالون بشيء فحسبهم شرفاً أنهم حفظوا سنن الهدى حين ضيعها الناس»⁽²⁰⁾.

فالسلفية إذن ترمي إلى بناء سلوك الفرد والجماعة المسلمة وتحصينها بالمناعة اللازمة اعتقاداً وتشريعاً وذلك اقتداءً بالسلف الصالح من المسلمين الأوائل الذين كان مناهجهم عموماً مستمداً من الاسلام وشريعته.

وهكذا نجد السلفية كدعوة اصلاحية تنشأ بعد ظهور الانحراف في مجال العقيدة حين ترجمت الفلسفة اليونانية وتأثر بعض المسلمين بمقولاتها ونظرياتنا فأدى ذلك إلى تأويل كلام الله تعالى وصرفه عن ظاهره ومعناه صرفاً بعيداً، فانقسم المسلمون تبعاً لذلك إلى قسمين في قضايا العقيدة :

— **السلفيون** : وهم الذين يقولون نؤمن بما آمن به المسلمون الأوائل أصحاب الرسول ﷺ فهم سلفنا الصالح وما آمن به أئمة الهدى المشهود لهم بالخير والبر والتقوى والاحسان والفهم السليم لدين الله عز وجل.

— **الخلفيون** : وهم الذين درسوا المنطق اليوناني وتأثروا به فالتجأوا إلى التأويل

البعيد.⁽²¹⁾

(18) — الاسلام والنصرانية ص 198.

(19) — محسن عبد الحميد : المذهبية الاسلامية كتاب الأمة عدد 6 ص 49.

(20) — علوم الحديث ومصطلحه ص 8 و 9.

(21) — علي حسين الجابري : الفكر السلفي ص 79.

ويظهر مما سبق أن مصطلح «السلف» أسبق زمانا عن مصطلح «السلفية»، لأن السلف كما سبق حدد زمنيا بنهاية القرون الثلاثة الأولى كما دلت على ذلك النصوص السابقة، أما السلفية فهي كما ذكرت نسبة إلى السلف ولم تظهر إلا في القرن الرابع الهجري بعد أن ظهر الانحراف في أمر العقيدة بسبب التأثيرات الأجنبية والتفاعل الحضاري الذي تسرب إلى صفوف المسلمين في مجال الفكر لعوامل متعددة ليس هذا مجال ذكرها. ولأن ظهور السلفية كحركة اصلاحية في مجال العقيدة والسلوك والاجتماع قبل هذا التاريخ لم تكن حاجة المسلمين تدعو إليه في القرون الثلاثة الأولى، إذ جلهم كانوا سلفيين بالبداية ينطلقون في أحكامهم وسلوكهم الاجتماعي وتصوراتهم الفكرية من مفاهيم الاسلام ومضامينه التي حددها الكتاب والسنة وأعمال السلف الصالح الذين هم أقرب الناس إلى عهد الوحي وأشدهم تمسكا به في مجال الاعتقاد والتشريع (22) ومن هنا كان الاقتداء بالسلف الصالح والتشبه بهم في أمور العقيدة والدين ضربا من التأسّي بالسنة النبوية.

الجنب الثالث : الاقتداء بالسلف :

إذا كان السلفي هو من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة ويهدر ما سواهما، فإن منبع السلف هو الكتاب والسنة بأمر من الكتاب والسنة، قال تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (23) وقال : ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ (24)، ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ (25)، ﴿سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولا تجد لستتنا تحويلا﴾ (26).

والرسول ﷺ بين أن أمته ستفترق بعده إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فلما سئل عليه السلام عن هذه الواحدة قال : «ما أنا عليه وأصحابي» (27) لأن أصحابه كانوا مقتدين به مهتدين بهديه. قال الشاطبي : «فالقرآن هو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى

(22) — هذه عقيدة السلف والخلف ص 155.

(23) — يوسف : 108.

(24) — يونس : 108.

(25) — النحل : 123.

(26) — الاسراء : 77.

(27) — البغدادي : الفرق بين الفرق ص 304، البيهقي : الاعتقاد ص 233.

الناس بذلك فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «مأنا عليه وأصحابي» فالكتاب والسنة هما الطريق المستقيم» (28).

وقد أمر الله رسوله الكريم بالعفو عن أصحابه والاستغفار لهم (فاعف عنهم واستغفر لهم) كما أمره بمشاورتهم تطيبا لقلوبهم وتنبيها لمن يأتي بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام (وشاورهم في الأمر) (29) وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلا للذين آمنوا فقال : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (30).

والأحاديث التي تحث على التمسك بالسنة والاعتداء بالرسول ﷺ وبأصحابه الكرام كثيرة منها ما ورد عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وأن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بغيري فسيري اختلاف كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (31).

وأخرج الامام البخاري في صحيحه في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال : «أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا» (32).

فالاكتصام بالسنة والاعتداء بالسلف الصالح نجاة. لذلك قال مالك رحمه الله «السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» (33) والامام الأوزاعي رحمه الله أكد على مجازاة السلف الصالح والاعتداء بهم لأن مجازاتهم هي استجابة

(28) — الاعتصام ج 2/189، السيوطي : الجامع الصغير ج 2/382 رقم الحديث 7532.

(29) — آل عمران : 159.

(30) — الحشر : 10.

(31) — أخرجه أحمد في المسند ج 4/126، والترمذي في جامعه ج 3/377 ط. الهند.

(32) — الاعتصام بالكتاب والسنة ج 9/113.

(33) — مجموع فتاوى ابن تيمية ج 4/137.

تلقائية لسنة الرسول ﷺ كما سبق، ولأنهم رضي الله عنهم تمكنوا من حفظ أخباره ﷺ فهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش كما قال ابن العربي⁽³⁴⁾. لهذا قال الازاعي : «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»⁽³⁵⁾ وهكذا نجد أئمة الاسلام الأعلام يحثون على الاقتداء بالسلف والسير على منهجهم في العقيدة والعبادة وفي السلوك، مرجعهم في ذلك نصوص الوحي الالهي المتقدمة التي تمسك بها هذا الرعيل الأول من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه حين التزموا بكلمة التوحيد الخالدة «لا اله إلا الله محمد رسول الله» وأعطوها ما تستحقه من الدلالة. فهم قالوا وفعلوا لأنهم يعلمون أن دين الله ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، وأنه الصراط المستقيم، لذلك تمسكوا به فكانوا خير الناس وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو أحدهم «خط لنا رسول الله ﷺ خطا وخط حوله خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال : «هذا سبيل الله وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»⁽³⁶⁾ والصراط المستقيم يتضمن معرفة الحق والعمل به كما ورد في الدعاء المشهور «اللهم أرني الحق حقا ووفقني لاتباعه، وأرني الباطل باطلا ووفقني لاجتنابه ولا تجعله مستبها علي فاتبع الهوى» فمن خرج عن الصراط المستقيم كان متبعا لظنه ولهواه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة فانهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس. (37)

ويتضح لنا مما سبق أن الاقتداء بالسلف أنجي وأسلم وأن أئمة الاسلام الأعلام ألحوا على ذلك لأن منهج السلف في أمور العقيدة والعبادة أسلم المناهج وأبعدها عن الضلال والزيغ، فهو يستمد قوته وحجيته من المصدرين الأساسيين للشريعة : الكتاب والسنة، والسلف — كما هو معروف — أعلم الناس وأشدهم تمسكا بهما على الإطلاق.

(34) — العواصم من القواصم ص 191.

(35) — ابن الجوزي : تلبس إبليس ص 9.

(36) — مجموع فتاوي ابن تيمية ج 127/3.

(37) — منهاج السنة ج 228/3.

ومن أكبر الأئمة تمسكا بالسنة وأكثرهم اقتداء بالسلف الصالح إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه الذي سطع نجمه في سماء الحجاز موطن الوحي الالهي وموئل الدعوة الإسلامية. وأرى أن هذا من بين الأسباب الرئيسية التي جعلت المغاربة منذ اثني عشر قرنا يعتقدون هذا المذهب ويقتفون أثر أستاذه الأول مالك بن أنس الذي ارتبطت سلفيته بتاريخ المغرب كله، بل بتاريخ الغرب الإسلامي بأكمله، ارتباطا وثيقا، وأثرت في تكوينه السياسي والفكري والاجتماعي تأثيرا عميقا استمر طوال تاريخه ووقف تلاميذه في هذه الديار يحاربون كل النزعات الطائفية والعرقية وذلك بالعمل على توحيد الغرب الإسلامي فكرا واعتقادا وتشريعا. كل ذلك في نطاق المالكية. فكونوا للغرب الإسلامي طابعه الخاص وحافظوا له على وحدته التامة عبر العصور يقول الشيخ ابراهيم الكتاني «والذي يعرف ما قاساه المشرق الإسلامي والعربي في تاريخه وما يقاسيه إلى الآن من محن وأهوال من جراء «الطائفية» البغيضة التي تمزقه شر ممزق والتي استغلها في الماضي الصليبيون والتتر والاستعمار القديم شر استغلال وما يزال يستغلها الاستعمار الجديد والصهيونية على أبشع صورة، يقدر فضل المالكية على هذه البلاد».(38)

(38) — محمد ابراهيم الكتاني : سلفية الامام مالك ص 37.